# الفصل الثالث

# الديانة المصرية القديمة

# الديانة المصرية القديمة

## تعدد المعبودات الوثنية وتنوعها:

تعددت المعبودات الوثنية في الديانة المصرية القديمة وتنوعت شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية.

**«ويرجع هذا التعدد إلى أن المصريين الأوائل ردوا كل ظاهرة حسية تأثرت دنياهم بها إلى قدرة علوية أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها، وتستحق التقديس من أجلها الأمر الذي أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكلفة بالرياح والأمطار وظواهر السماء، وبجريان النيل، وتعاقب الفيضانات وتجدد الخصوبة والأرض ونمو النبات»** (١).

هذا إلى جانب أن الآلهة المحلية (٢) لعبت دورًا رئيسيًا في هذا التعدد، حيث كان لكل أسرة، ولكل قبيلة، ولكل أقليم، معبوداتها المحلية المتعددة **«غير أن نفوذ كل معبود إنما كان أحيانًا لا يقتصر على منطقته التي نشأ فيها وإنما كان يمتد إلى ما حولها من القرى حسب أحوال البيئة التي تحيط بمنطقته -وخاصة الأحوال السياسية- فإذا ما عظم شأن قبيلة سياسيًا تغلب إلهها على ما حولها من القبائل الأخرى دينيًا وأصبح إله هذه القبيلة هو صاحب النفوذ الأعظم»** (٣).

وقد علل أدولف إرمان انتشار الآلهة المحلية في غير موطنها الأصلي بقوله: **«إن تقديس بعض هذه الآلهة المحلية انتشر بين الناس في أماكن بعيدة عن مواطنها الأصلية ولا غرابة في ذلك فمصر لا تشبه في طبيعتها أي بلد آخر، إذ إن في الاستطاعة**

---

(١) د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ص٣٢٩. مكتبة الأنجلو المصرية. ط. رابعة سنة ١٩٨٤م.

(٢) عن الآلهة المحلية (راجع فرانسوا دومانس: آلهة مصر ص١٨ وما بعدها، ص٢٨ وما بعدها) ترجمة زكي سوس. (سلسلة الألف كتاب الثاني) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م.

(٣) د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق القديم (الجزء الخامس الخاص بالحضارة المصرية ص٢٦٦ دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٩م.

**اجتياز هذا البلد من أقصاها إلى أقصاها بسفينة تعبر مياه النيل دون أي عائق، وإذا لم تساعد الظروف هذا أو ذاك المعبود من أن ينتقل من موطنه فقد كانت هناك بعض العادات والأفكار الدينية تنتقل من موطنها وتنتشر في المواطن الأخرى»** (١).

ونتيجة لهذا وذاك تعددت المعبودات المصرية القديمة وأصبح لديهم العديد من الآلهة والآلهات المنتشرة هنا وهناك.

وعن هذا يقول أدولف إرمان: **«وهكذا تكون في مصر كنز كبير من معتقدات دينية تنوعت أفكارها وتعددت مذاهبها فهناك من الآلهة ما عبد في موطن واحد، وأخرى عبدت في مواطن مختلفة، كما كانت هناك آلهة اختلفت أوصافها واتحدت في شكلها وكذلك آلهة اتحدت في اسمها واتخذت أشكالاً مختلفة»** (٢).

ويقول ول ديورانت: **«ولسنا نجد في بلد من البلاد -إذا استثنينا بلاد الرومان والهند- ما نجده من الآلهة الكثيرة في مصر»** (٣).

ولقد تميزت الديانة المصرية بأنها كانت تسيطر على كل تفكير الإنسان المصري، فكانت هي الأساس، وكانت تمثل المكانة العظمى في حياة المصريين، وكانت **«هي الحافز الأكبر لما نشأ في مصر القديمة من علوم وفنون، وبها اصطبغت آدابها وفلسفتها»** (٤).

ونظرًا لظروف البحث فإننا سنتناول الخطوط العريضة فقط لهذه الديانة عامة.

---

(١) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة ص٧. ترجمة ومراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر، د/ محمد أنور شكري. مكتبة مصطفى الحلبي.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) قصة الحضارة: المجلد الأول جـ٢ ص١٥٦. ترجمة محمد بدران. لجنة التأليف والنشر سنة ١٩٧١م.

(٤) محمد عبد الرحيم مصطفى، علي مبارك: تاريخ مصر القديمة ص٦٢. وزارة المعارف العمومية سنة ١٩٥٢م.

**أنواع المعبودات الوثنية في الديانة المصرية القديمة:**

لقد أشرنا سابقًا إلى تعدد الديانة المصرية وتنوع معبوداتها، فلقد عبد المصريون العديد من المعبودات الوثنية من الحيوانات والنباتات ومظاهر الطبيعة الأخرى، بل وألَّهوا الإنسان نفسه، وإليك بعض التفاصيل.

**(١) عبادة الحيوان والنبات:**

إن مخلفات الحضارة المصرية القديمة -من آثار وأساطير وغيرها- تكشف عن كثير من الحيوانات المقدسة التي كان المصريون يقدسونها، والتي كانت في أغلب الأحيان رمزًا إلى الإله المعبود.

ولقد تنوعت هذه الحيوانات «**حيث عبد المصريون العجل، والتمساح، والصقر، والبقرة، والأوزة، والعنزة، والكبش، والقط، والكلب، والدجاجة، والخطاف، وابن آوي، والأفعى**» (١).

«**وكثيرًا ما كان المصري يختار بعض الحيوانات المفزعة مثل التمساح والثعبان، كما اختار أحيانًا بعض الحيوانات النافعة مثل التيس، والثور، والبقر من قطعانه، وكثيرًا ما اختار أنواعًا أخرى من الحيوانات شغلت تفكير الرجل الساذج بحركاتها وأعمالها كابن آوي الذي -يتسلل ليلًا من الصحراء متجهًا نحو الأماكن التي اختارها المصري لدفن موتاه**» (٢).

على أننا يجب أن نبين أن هذه المعبودات الحيوانية كانت موزعة على الأقاليم المصرية فلم يعبد كل المصريين كل هذه الحيوانات بل كان لكل منطقة معبود خاص بها ربما كان في الأصل هو الكائن الغالب في البيئة أو ذو التأثير الكبير في سكانها، وهكذا عبد التمساح في المناطق التي تكثر فيها

---

(١) قصة الحضارة: المجلد الأول جـ٢ ص١٥٨، راجع أيضًا فيليب فاندنبرغ: لعنة الفراعنة ص١٧٩. ترجمة: خالد أسعد، أحمد غسان. دار قتيبة للطباعة والنشر بدمشق ط. أولى سنة ١٩٨٢م.

(٢) ديانة مصر القديمة ص٩.

الجزر أو البحيرات حيث يكثر وجوده هناك، ومن ثم فقد عبد في منطقة دندرة عند ثنية قنا، كما عبد في الفيوم حيث توجد بحيرة قارون العذبة، وما يتصل بها من بحيرات تتناثر بها الجزر التي تأوي إليها التماسيح، كما عبدت الثعابين والأفاعي في مناطق التلال القريبة من الوادي حيث يكثر وجودها هناك كما في قاو الكبير وفي مستنقعات الدلتا كما في بوتو، كما عبد السبع في الأقاليم المجاورة للدلتا، وعبدت الصقور في مناطق التقاء الوديان أو الطرق الصحراوية بوادي النيل كما في إدفو حيث ينتهي وادي عبادي، وفي قفط حيث ينتهي وادي الحمامات فضلاً عن المناطق التي تتاخم الصحراء والتي تقع في أقصى شرق الدلتا وغربها كما في دمنهور، وفي منطقة صفط الحنة قريبًا من فاقوس، كما عبد الذئب وابن آوي في تلال أسيوط شبه الجبلية وفي أقاليم مصر الوسطى، وعبدت القطط في بوباستة وعند وادي بني حسن، وأنثى النسر في ثالث إقليم الوادي في الشرق، والصقر في الغرب، وعبد الكبش في كثير من الأقاليم المصرية من مطلع الوادي إلى رأس الدلتا [١].

وقد اختلف العلماء حول أسباب تقديس المصريين لهذه الحيوانات، فالبعض اعتبر أنها ما هي إلا نوع من الطوطمية [٢]، على اعتبار أن المصريين في تقديسهم للحيوانات يشبهون الطوطميين الذين اعتقدوا بأن هذه الحيوانات هي الجد الأعلى للقبيلة، وأن القبيلة تنسب إليه.

وقد عارض كثير من العلماء الأدقاء في هذه المشابهة معارضة شديدة وصرحوا بأنها تنقصها الأسانيد العلمية وبأنها غير متناسقة الجزئيات من

---

(١) د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى (الجزء الخامس) ص٢٦٨.

(٢) تطلق كلمة (طوطم) التي تنسب إليها العقيدة الطوطمية على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رمزًا لها، ولقبًا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس (راجع د/ علي عبد الواحد وافي: الطوطمية ص١٣ سلسلة اقرأ. دار المعارف، عجائب النظم والتقاليد (للمؤلف نفسه) ص١٩ دار نهضة مصر سنة ١٩٨٤م.

ناحية أخرى [١].

وقد أشار بعض العلماء إلى عنصري الرغبة والرهبة على أنهما هما السبب الحقيقي لتقديس المصريين للحيوانات.

والبعض يذكر أن عبادة الحيوانات نشأت نتيجة للحروب بين القبائل في عصور ما قبل التاريخ، فكانت كل قبيلة تأخذ لنفسها رمزًا من الحيوانات، إلى غير ذلك من التعليلات [٢].

ولكن ينبغي أن نلاحظ أن المصريين لم يقدسوا هذه الحيوانات لذاتها - كما تدلنا الآثار- بل قدسوها على أنها حلت فيها أرواح الآلهة.

يقول أدولف إرمان: **«واعتقد عباد هذه الحيوانات أنها تحوي شيئًا إلهيًا في نفسها بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانات ترمز بعض صفاتها إلى ما لهذا الإله من صفات»** [٣].

وعقيدة حلول الإله في الحيوانات نشأت عند المصريين نتيجة لاعتقادهم أن الروح تعود بعد الموت فتقيم في المومياء وفي التمثال الحجري، ثم تدرجوا إلى أن للإنسان عدة شخصيات بعضها مادي وبعضها روحي، وأن كل شخصية من هذه الشخصيات يمكن أن تستقل بنفسها في مأوى خاص، وإذا كان هذا شأن الإنسان فأحرى بالإله -وهو الأعظم روحانية- أن يكون له عدة شخصيات تحل كل واحدة منها في مأوى، ثم فكروا فهداهم تفكيرهم إلى أن مأوى شخصيات الإله لا يصح أن يكون ميتة كالمومياء، ولا حجرًا باردًا كالتمثال، وإنما يجب على تلك الشخصيات أن تكون مستحوذة على الحياة الواقعية وأن تكون غير إنسان فأخذوا يحلون الإله تارة في العجل، وأخرى في تمساح، وثالثة في قط، ورابعة في طائر، ثم يتبعون هذا الحلول

(١) د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية ص٢٨. مكتبة الأنجلو المصرية. ط. ثانية سنة ١٩٥٠م.
(٢) راجع هذه الأسباب كلها بإسهاب في: المرجع السابق ص٢٩-٣١.
(٣) ديانة مصر القديمة ص٩.

بتقديس تلك الحيوانات ويقدمون لها أنواع العبادة والإجلال لا على أنها معبودات ولكن على أنها ظروف قد حلت فيها شخصيات الإله الأعظم التي لا تتناهى [١].

وهذا يعني أن تقديس المصريين للحيوانات لم يكن لذات الحيوان نفسه ولكن لأن روح الإله حلت فيه. وهذا يدل على أن المصريين القدماء اختلفوا كثيرًا عن بعض الأمم الأخرى التي قدست الحيوانات، ويظهر هذا أكثر حينما نعرف أن المصريين حين قدسوا الحيوانات في أول الأمر جعلوها مقصورة على فرد واحد من أفراد كل نوع من أنواع الحيوانات.

فليس معنى تقديس المصريين للحيوانات تقديس كل أفراد هذه الحيوانات بل المقصود هو اختيار فرد واحد من كل نوع ويكون المقصود بحلول الإله فيه «**يتخيره الكهنة إذا توافرت فيه علامات حددها لهم الدين ونواميسه ولذلك لم يكن من بأس على قرية ترمز إلى ربها بهيئة الفحل مثلًا أن تستخدم الفحول في الحقل والنقل وتذبحها وتضربها، وذلك على العكس من شعوب أخرى قدست أنواعًا من الحيوانات بكافة أفرادها أو حرمت على الأقل ذبحها وإيذاءها**» [٢].

وكان للمصريين أيضًا معبوداتهم الخاصة من النباتات «**فقدسوا بعض أنواع**

---

(١) الفلسفة الشرقية ص٣١.

(٢) د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ص٣٣٠، كان هذا هو الحال في بداية أمر تقديس المصريين لهذه الحيوانات، وربما امتد الأمر بعد ذلك في بعض الأحيان إلى تقديس أنواع معينة من الحيوانات بجميع أفرادها، نقول هذا استنادًا إلى بعض الروايات التي رواها المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) بأنه شاهد حريقًا في مصر فوجه السكان عنايتهم إلى إنقاذ القطط قبل أن يفكروا في إطفاء النار ((عن هذه الرواية راجع الفلسفة الشرقية ص٣١، وعن هيرودوت راجع تاريخ العلم جـ٢ ص١٥٣ وما بعدها)) وتعليقنا على هذه الرواية هو: أن هذا الحادث متأخر. فلقد شاهده -هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد بينما كانت عبادة الحيوانات أقدم من هذا التاريخ بكثير. هذا إلى جانب أن المشاهدة كانت لبعض المناطق في مصر، وليست كل البلاد المصرية وعلى هذا يمكن القول: إنه ربما في بعض المناطق وفي عصور متأخرة أصبح تقديس أنواع بعض الحيوانات شاملاً لجميع أفراد هذه الحيوانات.

**النباتات -كالنخيل، وأشجار الجميز، والتين، والعنب»** [١] إلى غير ذلك من المعبودات النباتية، التي كانت أقل ذيوعًا وانتشارًا من المعبودات الحيوانية.

ولقد اعتقد المصريون أيضًا أن هذه النباتات حلت فيها روح الإله.

يقول د/ محمد غلاب: **«ولم يكن الحيوان -عند المصريين- وحده هو موضوع هذا الحلول الإلهي ومقر تلك الأسرار الكونية إنما كان النبات كذلك»** [٢].

ولذلك كثيرًا ما صورت شجرة من الأشجار كالجميز مثلاً وقد وقفت في وسطها سيدة تمثل روح الشجرة وإلهتها وهي معروفة باسم سيدة الجميز» [٣].

**(٢) عبادة البشر:**

وكان للمصريين آلهة من بني البشر اعتقدوا بحلول الإله فيهم ويبدو أن هذا الاعتقاد ظهر بين المصريين حينما وحد الملك (مينا) القطرين -وذلك في حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م- الذي أعلن في غير مواربة أن روح الإله حلت فيه [٤].

وتقبل الناس هذه الفكرة، واعتقدوا بألوهية الملك نتيجة لحلول روح الإله فيه وقدموا له الكثير من ألوان العبادة والخضوع والتقديس خاصة بعد أن قام بأعمال بطولية واستطاع أن ينتصر ويوحد الأقطار المصرية تحت إمرته وتصرفه.

**«واستطاع مؤسس الأسرة المصرية الأولى - مينا - أن يكون لمصر حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م حكومة مركزية قوية على رأسها الملك الإله الذي كتب له نجاح بعيد**

---

(١) محمد علي كمال الدين: الشرق الأوسط في موكب الحضارة الجزء الأول الخاص بالحضارة المصرية القديمة ص١٥٦. ط. النهضة المصرية سنة ١٩٥٩م.

(٢) الفلسفة الشرقية ص٣٢، وعن هذا المعنى راجع أيضًا: انطون زكري: الأدب والدين عند قدماء المصريين ص٦٥. (لم يذكر اسم الناشر).

(٣) الشرق الأوسط في موكب الحضارة جـ١ ص١٥٦.

(٤) الفلسفة الشرقية ص٤٠ بتصرف.

**المدى في أن يجمع بين كل السلطات، حكومة كان الملك فيها هو المحور بل الروح التي تبعث الحياة في الدولة، وكل ما يحدث فيها وحي منه، قامت على أسس دينية عميقة الأثر فهو الإله العظيم، الذي تجسد في هيئة بشرية، ومن ثم فهو في نظر رعاياه إله حي على شكل إنسان -يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لها من حقوق وبالتالي فله حق الاتصال بهم وله على شعبه ما لغيره من الآلهة من المهابة والتقديس»** (١).

**والسؤال الآن:** كيف نسب هذا الملك إلى نفسه حلول الإله فيه؟ وكيف قبل الناس - هذا الاعتقاد؟ وكيف استساغوا فكرة أن الملك الجالس على عرش البلاد أصبح إلهًا؟

لقد اختلف المؤرخون في ذلك، ويبدو أن انتصار الملك وتوحيده للبلاد تحت حكمه وسيطرته هما السبب في هذا الاعتقاد، فالأحوال السياسية كانت تتدخل عادة في انتشار بعض المعبودات دون الأخرى -كما أشرنا إلى ذلك سابقًا- فالقبيلة المنتصرة تتميز بأن معبودها يكون له السيادة والانتشار والذيوع، وربما وجد الملك في انتصاره هذا سببًا في نسبة الألوهية إليه.

يقول د/ عبد الله الشاذلي: **«إن فرعون ذاته في ضوء انتصاره وتوحيده للبلاد جرى على سنة سابقة في سيادة الإله المنتصر، وربما خيلت له نفسه بعد تحقيق المعجزة التي قام بها في توحيد البلاد بأنه قد امتاز عن غيره وأنه جدير بعنصريته وقوته وسلطته لأن يكون محلًا ومأوى للإله».**

ثم يقول: **«ولا نستبعد أن تكون انتصاراته قد أوعزت إليه أن الإله قد ارتضاه سكنًا وبفضل قوة الإله قد انتصر»** ولذلك أعلن للناس أنه الذي حلت فيه روح الإله معتمدًا في ذلك على انتصاره وتوحيده للبلاد.

ومن ناحية أخرى فإن الملك أراد أن يطمئن على أن لا ينازعه أحد في

(١) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (الجزء الخامس) ص٩٩.

السلطة فأعلن حلول الإله فيه بمعنى أنه إذا كان الملك بشرًا فإنه من الجائز أن ينازعه بشر آخرون أقوياء في السلطة أما إذا كان إلهًا فإنه لا يمكن منازعته.

وقبول هذه العقيدة لم يشكل عبئًا على المصريين حيث إنهم كانوا يعتقدون بحلول الإله في الطيور والحيوانات والنباتات.

فعقيدة الحلول كانت مسيطرة على عقولهم، وكل ما في الأمر أنه بدل أن يكون حلول الإله في الطيور والحيوانات والنباتات أصبح حلوله في الإنسان، وليس كل إنسان إنما هو الملك المنتصر المسيطر على البلاد الموحد لأقطارها.

ولذلك يمكن القول إن المصريين القدماء قبلوا الاعتقاد بأن الملك الجالس على العرش -حلت فيه روح الإله ربما وهم راغبون لا مكرهون ويدل على ذلك ما روي من أن المصريين كانوا يقومون له بجميع ألوان الخضوع والتقديس وكانوا يعاملونه معاملة الإله.

فكان أفراد الرعية يضعون أنوفهم في موضع قدميه ليستنشقوا رائحتها، ومن كان منهم مقربًا كان يسمح له بشم قدميه مباشرة، وكان عرشه في نظرهم أقدس ما أشرقت عليه الشمس في الكون، وشخصيته كانت أنفس شخصيات البشر جميعًا، وكان المصريون إذا أحسوا بأن هناك واحدًا لا يفتدي الملك وعرشه بكل ما لديه من عزيز ونفيس مقتوا هذا الشخص وودوا لو يبيدونه من فوق الأرض [١].

هذا إلى جانب أنهم أطلقوا عليه من الألقاب [٢] ما يدل على مدى حبهم وتعظيمهم له.

وكان في مقابل هذه الحقوق التي كان يتمتع بها (الفرعون) كان عليه عدة

(١) الفلسفة الشرقية ص٤٢.

(٢) عن هذه الألقاب راجع: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى (الجزء الخامس) ص١٠٩- وما بعدها.

واجبات فهو المسئول عن الدفاع عن مصر وحماية حدودها من غارات الشعوب المجاورة، وهو الذي يعمل على تدعيم العدالة ونشر لواء الحق، وهو الذي يعمل على تأمين وسائل الحياة، فضلاً عن إقامة المعابد الإلهية وتقديم القرابين لها والاحتفال بأعيادها وإقامة الطقوس الدينية [١].

ولكن هذه الواجبات الدينية لم تكن كتلك الواجبات التي كان أفراد الرعية يقومون بها بواسطة الكهنة.

وكانت إقامة هذه الواجبات مهمة حتى يضمن الملك بقاء النعم.

**«فإذا كان النيل يفيض ثم يعود إلى مهده ثانيًا، وإذا كان الزرع ينبت وإذا كانت الغلة وافرة وإذا كانت الشمس تشرق وتغرب، وإذا كان بنو الإنسان يحيون فلم يكن إلا لأن فرعون يقوم بالطقوس والواجبات [٢].**

ولم تكن تنتهي واجبات الملك المؤلمة بوفاته، وإنما تستمر في حياته الأخرى ذلك لأن الملك-في نظر المصريين القدماء- لا يمكن أن يموت وإنما يبدأ حياة خارقة للطبيعة حياة يكون فيها الوسيط بين الأموات من الناس وبين الآلهة فيظل الحامي والشفيع الذي يرعى الموتى كما كان يرعى الأحياء ومن هنا جاءت لهفة القوم على تشييد مقابر ضخمة للمحافظة على جثة الملك من كل أذى ولتهيئ له وسائل خاصة وملائمة وخالدة [٣].

وهكذا يتضح لنا أن المصريين ألهوا البشر واعتقدوا بحلول الإله فيهم كما كانوا يعتقدون من قبل بحلول الإله في الحيوانات والنباتات والأشجار.

* * *

(١) المرجع السابق ص١٠٧ (وهذا في غاية العجب وذلك لأنه إذا كان هذا (الفرعون) هو الإله فلمن يقدم الشعائر والطقوس؟).

(٢) الفلسفة الشرقية ص٤١.

(٣) دراسات في تاريخ الشرق الأدنى (الجزء الخامس) .

**(٣) مظاهر الطبيعة الأخرى:**

هذا وقد عبد المصريون بعض مظاهر الطبيعة الأخرى مثل السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم، والكواكب الأخرى.

**«فكان الإله (جب) هو إله الأرض وصوره المصريون القدماء على هيئة المستلقي على بطنه وقد نبتت المزروعات فوق ظهره»** [١].

أما إلهة السماء فكانت الإلهة (نوت) وقد صورت السماء أحيانًا على هيئة بقرة يمسكها إله الهواء (شو) وآلهة أخرى، وعلى بطنها النجوم وسفينة الشمس وأحيانًا أخرى على هيئة امرأة يحملها (شو) وعليها الشمس على هيئة (جعل) أو (قرص) [٢].

وكان للقمر إله واختار المصريون الطائر (أبيس) (أبي منجل) ليرمز إلى إله القمر، كما جعلوا إله القمر هو الإله العالم كاتب الآلهة [٣].

وكذلك أيضًا جعلوا لبعض النجوم والأجرام السماوية آلهة ترمز إليهم. وأهم النجوم التي برزت في معبودات المصريين: نجم (سوتيس) الشعري حيث كانوا يعتقدون أنه عندما يظهر هذا النجم في آخر شهر يوليو في السماء صباحًا يكون ذلك بمثابة البشير لوصول الفيضان، واعتبر هذا رمزًا لبدء السنة الجديدة للمزروعات.

والنجم الثاني هو المسمى باسم (ساح) وكان ظهوره بمثابة البشير لحصاد العنب والذي يوافق في مصر شهري يونيو ويوليو.

واعتبر هذان النجمان من بين الكائنات المقدسة وجعل المصريون منهما إلهين عظيمين [٤].

وكانت هناك ظاهرتان طبيعيتان نالتا قسطًا كبيرًا من اهتمام المصريين

---

(١) ديانات مصر القديمة ص١٦ ولمزيد من المعلومات راجع ص٧٣-٧٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص١٦-١٧.

(٣) المرجع السابق ص١١-٤٧.

(٤) المرجع السابق ص٢٧.

وأثرتا عليهم أعظم تأثير، وتصوروا أن في هاتين الظاهرتين إلهين اثنين كان لهما السيطرة على الديانة المصرية القديمة.

هاتان الظاهرتان هما: الشمس، والنيل، أما الإلهان فهما: إله الشمس (رع) وإله النسل أو الخضرة أو الخصوبة (أوزير) أي (أوزيريس).

وكانا إلهين عظيمين في الحياة المصرية القديمة، وقد دخلا في دور تنافس منذ عهد مبكر، فكان كل واحد منهما يبغي لنفسه أسمى مكانة في ديانة القوم ولم ينقطع هذا التنافس إلا في ختام القرن الخامس الميلادي [١].

وكان لكل إله منهما مجموعة من الأساطير، ولذلك قسم العلماء الأساطير المصرية إلى مجموعتين: المجموعة الأولى: المجموعة الشمسية، المجموعة الثانية: المجموعة الأوزيرية [٢].

ولقد سمى إله الشمس بأسماء كثيرة منها (رع) و (أتوم) و (حورس) و (خبري) [٣].

ولقد شيد المصريون لعبادة هذا الإله هياكل كثيرة، وجعلوا الهرم الأكبر رمزًا مقدسًا له إلى جانب بعض الرموز الأخرى، وكانت هليوبوليس المركز الرئيسي لعبادته، وكانت له هياكل أخرى في جهات مختلفة من البلاد [٤]، وكانت الشمس فعلاً أعظم الآلهة عند المصريين ونالت قسطًا كبيرًا من اهتمامهم. يقول فؤاد شبل **«وكان إله الشمس له السيادة على اللاهوت المصري حتى جاءت المسيحية»** [٥].

---

(١) بريستد: فجر الضمير ص٤٣. ترجمة د/ سليم حسن (سلسلة الألف كتاب) مكتبة مصر.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ١ ص٧٦.

(٣) برستد: تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص٣٥. ترجمة زكي سوس، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع سنة ١٩٦١م. راجع أيضًا: ديانة مصر القديمة ص١٩.

(٤) برستد: العصور القديمة ص٥٤.

(٥) فؤاد شبل: دور مصر في تكوين الحضارة ص٤٤ (المكتبة الثقافية) الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧١م.

أما أوزيريس إله النيل والخضرة والخصوبة فسوف نتناوله بمزيد من التفصيل لأنه هو وإيزيس وحورس (هذا الثالوث) كان لهم انتشار واسع في البيئة التي ظهرت فيها المسيحية فيما بعد وكان لأساطيرهم تأثير كبير على هذه البيئة.

والمهم هنا أن نذكر أن المصريين كانوا يعتقدون بأن هذه الظواهر الطبيعية **«إنما هي مجرد صور خارجية لأرواح عظيمة لآلهة ذوات إرادات توجه حركاتها المختلفة المعقدة»** [١] وهذا يعني أن المصريين لم يعبدوا هذه الظواهر لذاتها وإنما لأنها ترمز إلى الأرواح الإلهية التي تسيرها وتوجهها.

**اوزيريس وإيزيس :**

وكان أوزير (أو أوزيريس كما دعاه الإغريق) [٢] إله النيل **«وهذا الإله لم يكن معظمًا في أول الأمر، ولكن قصته وعلاقته بالموت والحياة جعلته يحتل مكان الصدارة بين الآلهة فأصبح من أهم الآلهة المصرية»** [٣].

وباعتبار أن النيل هو سبب خصوبة الأرض وأساس الإنبات والخضرة اعتبر أوزيريس أيضًا إلهًا للخصوبة والخضرة والإنبات.

ولقد نسب المصريون لهذا الإله كل التطورات التي تحدث على سطح الأرض طوال العام فإذا ما أتى الفيضان فأوزيريس هو الماء الجديد الذي يكسب الحقول خضرة، وإذا ما جف النبات وفنى فمعنى ذلك أن أوزيريس قد مات ولكن موته هذا ليس أبديًا لأنه إذ ما نبتت البذور في العام الجديد فإنما نبتت من جسده الذي لا يزال على قيد الحياة، حيث اعتقدوا أن الحياة تعود إليه كل عام، وبعودتها تنبت المزروعات التي يعيش بها الإنسان والحيوان[٤].

---

(١) قصة الحضارة، المجلد الأول ص١٥٦.

(٢) د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم جـ١ ص٣٤٠.

(٣) ديانة مصر القديمة ص٤٨.

(٤) المرجع السابق ص٤٨-٤٩.

**«ومن أجل الحياة والموت اعتبر إلهًا للموتى وسيدًا لهم، وقد اعتبر أيضًا إلهًا للقمر وذلك لأنه يختفي ثم يعود مرة ثانية إلى الحياة بل أكثر من ذلك مثل عندهم الشمس الغاربة والشارقة، ولكن من الملاحظ أن كل هذه الصفات التي برزت في العصور المتأخرة لم تبلغ ما بلغته الميزة الأولى»** [١].

وقد أدت كثرة الأوصاف التي نسبت إليه إلى نسج الكثير من الأساطير حوله، وكان دائمًا لأوزيريس الدور البارز في هذه الأساطير، وأهم أسطورة ظهرت هي تلك التي تتألف منه ومن إيزيس وحورس.

**وتبدأ الأسطورة بالإله (رع) إله الشمس الذي أنتج إلهين عظيمين هما:**

(شو) -إله الهواء- و (تفنوت) -إله الفراغ- ومن اجتماعهما تولد إلهان آخران- هما (جب) -إله الأرض- و (نوت) -إلهة السماء- ولقد أنجب هذان الإلهان أربعة آلهة: ولدين وهما: أوزيريس -إله النيل - وست- إله الصحراء أو الشر، وابنتين هما: (إيزيس) -إلهة الخصوبة- و (نفتيس) إلهة الأرض القاحلة [٢]. تزوجت الأولى من أوزيريس، والثانية من ست.

وتروي الأسطورة أن (أوزيريس) حكم القطرين وكان موفقًا في حكمه فعلم الناس كل طيب ونافع، وكان عادلاً، ثم بجانب ذلك كان بطلاً من أبطال الحروب، واسع الشهرة، قوي الشكيمة، وكان أعداؤه يرتجفون أمامه كل هذه الأمور جعلت (ست) يحقد على أخيه ويدبر له المكيدة ويحتال لقتله، ونجح في ذلك، فلقد استدرجه ووضعه في صندوق محكم وأقفله وقذفه في البحر، أما إيزيس فقد أخذت تبحث عنه دون ملل وجابت الأرض كلها، والهموم -تملأ صدرها ولم تدع للقنوط سبيلاً إلى أن عثرت عليه فجمعت أشلاءه التي مزقها (ست)، واستعانت بسحرها حتى دبت الحياة في جسم

(١) المرجع السابق ص٤٩.

(٢) وهذا هو التاسوع المصري وكانوا يطلقون عليه التاسوع المقدس (عن هذا التاسوع راجع الفلسفة الشرقية ص٤٨).

الإله الميت، وحطت عليه إيزيس كما يحط الطير، وحملت منه، ولما كان من الصعب عليه أن يحيا فوق الأرض حياته الأولى لذلك أصبح لزامًا عليه أن يحيا حياة ثانية وبذلك صار ملكًا للموتى.

وعندما حملت إيزيس هربت من مطاردة (ست) وبعيدًا عن أعينه، وفي أحراش الدلتا وضعت (إيزيس) ولدًا هو (حورس)، وكم هددت الأخطار هذا الصبي ولكنه كان باستمرار ينجو منها بيقظة وعناية أمه (إيزيس)، ولم يكن أحب إلى المصريين القدماء من تلك الصورة التي تمثل الإلهة الأم وعلى حجرها رضيعها -والتي تشبهها إلى حد بعيد صورة مريم وطفلها عيسى ابن مريم.

وهكذا ترعرع (حورس) في الخفاء حتى إذا ما اشتد ساعده قام يقاتل (ست) وانتصر عليه، وشوه صورته، بعد ذلك قادته أمه (إيزيس) إلى قاعة المحاكمة فحياه الآلهة المجتمعون هناك قائلين: **«أهلًا بك حورس يا ابن أوزيريس أيها الشجاع مخلص حقه ابن إيزيس ووريث أوزيريس»**، ولكن (ست) رفع دعوى عليه يطعن في صحة ميلاده، فعقد الآلهة الكبار جلسة فحصوا فيها هذه الشكوى، ووجدوا أن الحق بجانب (حورس) فأعطوه ما كان لأبيه فخرج متوجًا وأصبح حاكمًا للقطرين وبقى التاج فوق جبينه، أما أوزيريس فقد برأته الآلهة أيضًا من التهم الموجهة إليه من أخيه (ست) وانتقل إلى أسفل الأرض -حيث اعتقاد الناس آنذاك أن العالم الثاني كان تحت الأرض- ومارس سلطانه على ملكوت الموت، وعاود نشاطه، فاستمر يدفع الماء تحت الأرض ويدفع الخصوبة إلى التربة، وينمي الحب، أي ظل يقيم الأدلة على حيويته وقدرته [١].

وكانت هذه الأسطورة أكثر الأساطير شعبية بين المصريين، وقد اكتسبت

(١) عن هذه الأسطورة راجع ما يأتي: ديانة مصر القديمة ص٨٤-٨٥، فجر الضمير (الفصل السابع)، آلهة مصر ص٩٩. الشرق الأدنى القديم (الجزء الأول مصر والعراق) ص٣٤٥ وغيرهم.

إيزيس بسببها حب وعبادة المصريين.

وكان المصريون يعبدونها عبادة قائمة على الحب والإخلاص فصوروا لها صورًا من الجواهر لأنها في اعتقادهم أم الإله، وكان كهنتها الحليقون ينشدون لها الأناشيد ويسبحون بحمدها في العشي والإبكار. وكان تمثالها وهي ترضع في ريبة طفلها الذي حملت فيه بمعجزة من المعجزات -كما يعتقدون- صورة مقدسة لديهم فكانت توضع في معبد ابنها حورس في منتصف فصل الشتاء من كل عام- أي في الوقت الذي يتفق ومولد الشمس السنوي في أواخر شهر ديسمبر [١].

ولقد كان لهذه الأساطير والرموز الشعرية الفلسفية أعمق الأثر في الطقوس المسيحية، وفي الدين المسيحي، حتى إن المسيحيين الأولين كانوا أحيانًا يصلون أمام تمثال إيزيس الذي يصورها وهي ترضع طفلها «حورس» وكانوا يرون فيها صورة أخرى -للأسطورة القديمة أسطورة المرأة الخالقة لكل شيء والتي تصبح آخر الأمر أم الإله» [٢].

ويلاحظ أيضًا في هذه الأسطورة أنها مكونة من ثالوث مميز أحدهم يمثل الأب، والثاني الابن، والثالث الأم، وقد انتشرت عبادة هذه الأسطورة بهذا الثالوث في مصر وفي معظم بلاد العالم آنذاك.

وتصور الأسطورة أن البشر آلهة، فلقد جعلت الأسطورة أوزيريس بشرًا إلهًا تولى أمور مصر وحكم القطرين وكان عادلاً منصفًا في قراراته وتمتعت البلاد في حكمه بالأمن والأمان، وكان عصره عصرًا ذهبيًا ساد فيه الرخاء والسعادة.

على أن يلاحظ في هذه الأسطورة أيضًا: إبراز صورة الإله الذي انتصر على الموت.

يقول أدولف إرمان -وهو يبين العوامل التي أكسبت هذه الأسطورة قوتها-

(١) قصة الحضارة: المجلد الأول.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

**«والعامل الثاني [١] كان الاعتقاد بانتصار الإله المقتول على الموت، فبرغم أنه مات حقًا إلا أنه قد استرجع الحياة، فبرغم أنه قد تنازل عن حق السيادة على الأحياء إلى ابنه حورس إلا أنه أصبح سيدًا على الموتى أولئك الذين كانوا مثله يستحقون التمتع بحياة ثانية»** [٢].

ويلاحظ أيضًا أن إيزيس إذا كانت هي السبب من طرف خفي في حدوث الموت والقتل لأوزيريس -من إله الشر- فإنها أيضًا هي السبب في انتصاره على الموت، وكان لها فضل عظيم في تبوأ ابنها المكانة العليا بعد أن انتصر على (ست) إله الشر، فلقد توج ابنها (حورس) ملكًا على العالم وإلهًا في نفس الوقت.

وهذه المعاني كان لها أكبر الأثر على المسيحية فيما بعد، ففي المسيحية تجد مثل هذه العقائد والأفكار.

**انتشار أسطورة أوزيريس في جميع البلاد المصرية:**

لقد كان لهذه الأسطورة طابع مميز جعلها تلهب المشاعر والأحاسيس خاصة ما تميزت به الأسطورة من إبراز وفاء الزوجة لزوجها وحبها له، وبحثها عنه في كل مكان، بل وحبها لرضيعها وطفلها وتخليصه من مكايد (ست)، وكذلك ما تبرزه الأسطورة من بر الابن لأبيه وحبه له، هذا إلى جانب ما تظهره الأسطورة من انتصار الحق على الباطل والخير على الشر.

وهذه المعاني الإنسانية -وإبرازها في صورة قصصية وحوارية- هي التي كان لها أكبر الأثر في ذيوع هذه الأسطورة وما تحمله من عقائد وانتشارها في جميع البلاد المصرية ثم بعد ذلك إلى بلاد العالم.

يقول فرانسوا دوماس: **«ومن الجلي أن طابع الأسطورة الإنساني العميق قد قام**

---

(١) والعامل الأول في نظر المؤلف هو الاعتقاد بأن الاستبداد والتعسف ليسا هما القوتان اللتان تسودان العالم بل الحق والإخلاص.

(٢) ديانة مصر القديمة ص٨١.

**بدور جوهري في نشر العبادة، إن وفاء إيزيس لزوجها، وحب الأمومة الذي يتملكها، وصراع حورس للانتقام لأبيه والاستيلاء على إرثه كانت خصالاً من شأنها أن تلمس قلوب الأوفياء وتوسع دائرة المؤمنين بها»** (١).

هذا إلى جانب أن الناس وجدوا في هذه العقيدة -في نظرهم- الخلاص، وضمان الخلود والنجاة، فقلد جاء في بعض روايات الأسطورة أن إيزيس استطاعت العثور على (دواء الخلود) أثناء بحثها عن (أوزيريس) وبهذا الدواء أعادته إلى الحياة، ولهذا كان أولئك الذين يدخلون في هذه الديانة ويؤمنون بهذه العقيدة يتخذون هوية أوزيريس ويصيرون بالاشتراك في شعائره السرية، يجدون الحياة الأبدية -في نظرهم- ولذلك أصبح الدين الأوزيري دين الخلاص، ولهذا برزت هذه الديانة في جميع العصور القديمة للمصريين (٢).

ولقد انتشرت هذه الديانة في الأقطار المصرية بطريقة تدريجية، كان موطنها الأصلي في شرق الدلتا في مدينة (بوريريس) أبو صير، ثم انتقلت بعد ذلك إلى المملكة الجنوبية وذاع الاعتقاد بها قبل أن توحد مملكتا مصر العليا ومصر السفلى تحت حكم واحد (٣٤٠٠ ق.م أو ٣٢٠٠ ق.م) ولم يزل بها الأمر هنا وهناك حتى اتصلت بالملك حيث أصبحت لها أوثق العلاقات به، فكان الملك يتخذ كساء وإشارات أوزيريس في الأعياد، ثم ربط المصريون بين فرعون وأوزيريس (٣).

وارتباط الملك بها ساعدها على الانتشار أكثر وبطريقة أسرع وأصبح أوزيريس الفرعون الكبير والحاكم على أرض الموتى، والإله الذي يرضى بأن يشاركه رعاياه في خلوده، وأصبح هذا الإله أكثر الآلهة المصرية شعبية، وكان آلهة العقائد الأخرى لا يعبدها غير الطبقات العليا، أما ثالوث أوزيريس وهو (أوزيريس- إيزيس- وحورس) فكان معبودًا من جميع طبقات الأمة ابتداء من

(١) آلهة مصر ص١٠١. (٢) المرجع السابق ص١٠١-١٠٢ بتصرف.
(٣) راجع تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص٧٢-٧٥.

فرعون حتى الفلاحين وكانوا يمثلون قصة حياته ومماته وبعثه عند مدفنه بأبيدوس على هيئة تمثيلية عاطفية كانت تستمر عدة أيام، وكان الملك يسند الأدوار الهامة في التمثيلية إلى كبار موظفي الدولة [١].

**انتشار العقيدة الأوزيرية في البلاد اليونانية والرومانية:**

ثم بدأت هذه العقيدة بعد ذلك تأخذ طريقها إلى الذيوع والانتشار خارج الأقطار المصرية فانتشرت في أنحاء البحر الأبيض المتوسط ومنه انتقلت إلى بلاد العالم المتحضر.

**«ولقد بدأت فتوحاتها الخارجية في بلاد اليونان في القرن السابع قبل الميلاد، أو قبل ذلك، فكان نساء قبرينيا (برقة) -كما يقول هيرودوت- يعبدونها ثم زاد انتشارها زيادة كبيرة حين أنشأ اليونان مدينة (نواكراتيس) في دلتا مصر في القرن السادس قبل الميلاد، ومن ذلك الحين ظل انتشار الديانة المصرية في ازدياد، ويمكن رؤية معابد ونقوش مخصصة لإيزيس وغيرها من الآلهة المصرية في كثير من الجزر اليونانية»** [٢].

وأخذت هذه العقيدة تحظى باهتمام كثير من اليونانيين واعتبرت آلهتها آلهة محبوبة لدى اليونانيين، وقد ساعدت فتوحات (الإسكندر الأكبر) وسياسته المزجية أيضًا على ذيوع هذه العقيدة بصورة أكثر وضوحًا.

وفي عصر البطالمة انتشرت الديانة الأوزيرية ولكن بعد مزجها ببعض الآلهة اليونانية -وذلك من أجل إرضاء المصريين واليونانيين على حد سواء- وأصبح ثالوث البطالمة مكونًا من سرابيس، إيزيس، حورس.

وقصة تكوين هذا الثالوث بهذه الهيئة الجديدة -هي أن بطليموس الأول (٣٨٥ ق.م - ٣٠٥ ق.م) كون لجنة من علماء الدين المصريين واليونانيين وذلك لاختيار الديانة التي يقبلها كل من المصريين واليونانيين معًا.

ولا جدال في أنه لتقريب شقة الخلاف الديني بين المصريين والإغريق

---

(١) شجرة الحضارة جـ٣ ص٣٩.

(٢) تاريخ العلم جـ١ ص٢٦٨ وما بعدها.

كان يتعين أن يكون محور الديانة الجديدة مذهبًا مصريًّا يمكن إقناع الإغريق بالإقبال على اعتناقه وذلك لأنه بقدر ما اعتور إيمان الإغريق من ضعف وما ساورهم من شكوك في مقدرة آلهتهم كان المصريون يستمسكون بمعتقداتهم الدينية ويفاخرون بها وكان يتعين كذلك أن يكون كبير آلهة الديانة الجديدة معروفًا للجميع وفي وسعه أن يحتل مكانًا ساميًا في نفوس الناس وعقولهم[١].

وخلاصة القول أن اللجنة استقرت على أن يكون أساس الديانة الجديدة مكونًا من سرابيس وإيزيس، وحورس.

ولم يختلف أحد من العلماء حول إيزيس وحورس وكونهما إلهين مصريين، أما سرابيس [٢] فقد اختير على أساس إرضاء الجميع.

وذلك لأنه في منف كان أوزيريس منتشرًا، وكان يدعى أسار حابي أو (أوسارحابي) ويدعوه الإغريق (أوسور وأبيس) و (أوسرابيس) و (سورابيس) و (سارابيس) و (سرابيس)، وكان مذهب منف قد اكتسب أهمية كبيرة وشهرة واسعة بعد فتح الإسكندر لمصر، فإذا أريد اتباع رغبات الناس وإقامة الديانة الجديدة على أسس قوية كان لابد من اختيار معبود هذه الديانة من بين آلهة منف [٣].

هذا إلى جانب أن معبود منف هذا كان يتمتع بمكانة كبيرة بين الإغريق النازلين في مصر [٤] باعتباره صورة مقابلة لإلههم ديونيسوس، ومن هنا جاء الاسم الجديد (سرابيس) من بين أسماء الآلهة المصرية والذي كان يعني به

---

(١) د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة جـ٢ ص١٧٨. ط. خامسة. مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٠م.

(٢) وقد اختلفت الآراء حول أصل سرابيس فالبعض يرى أن أصله بابلي، ولكن الرأي الراجح هو الذي نذكره وهو أن أصل سرابيس هو الإله المصري أوزيريس (راجع المرجع السابق جـ٢ ص١٨٠، إدريس بل: الهلينية في مصر ص٥٨. ترجمة زكي علي. دار المعارف سنة ١٩٥٩م.

(٣) تاريخ مصر في عصر البطالمة جـ٢ ص١٧٩.

(٤) المرجع السابق: نفس الصفحة.

أوزيريس في منف «وذلك بعد تغيير صورته من كونه عجلًا إلى صورة إنسانية، وأنشئ لهذا الإله معبد في الإسكندرية هو المعبد الرئيسي والرسمي لهذه العبادة، ومركز لإشعاعه إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط [١].

وما دام أن الإله (سرابيس) لم يكن إلا صورة من الإله أوزيريس، فقد ألحقت به إيزيس وحورس للقيام بدور الزوجة والابن خاصة وأن اليونانيين كانوا يؤمنون بأن يكون للإله زوجة وأبناء كما في الآلهة الأوليمبية التي سنذكرها فيما بعد.

هذا إلى جانب أن إلحاق إيزيس وحورس بسرابيس لم يكن ليغضب المصريين وذلك لأن في هذا استكمالاً لأمر ديانتهم ولأطراف عبادتهم، ولثالوثهم المقدس.

وقد اكتسبت هذه العبادة مكانة كبرى لدى الإغريق لا في مصر وحدها بل في كل أنحاء العالم الإغريقي أيضًا «ولم تلبث أن انتشرت من الإسكندرية في حوض البحر المتوسط، حتى وصلت إلى الهند، وأصبحت أهم العبادات الغامضة التي غزت عالم بحر إيجة، فكانت المعابد تقام في مدينة بعد أخرى إما لسرابيس وحده وإما لسرابيس وإيزيس» [٢].

وعن طريق هؤلاء انفتحت هذه العبادة في صورتها الجديدة على العالم «وانتشرت انتشارًا عظيمًا في جميع أقطار العالم المتمدن في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد» [٣].

ويذكر العلماء أنه عندما انتشرت عبادة سرابيس خارج مصر في العالم الإغريقي بقى أصله المصري واضحًا جليًّا بالرغم مما أدخل على هذا الإله من

(١) د/ مصطفى العبادي: مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص٥١. مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٨٥م.

(٢) تاريخ مصر في عصر البطالمة جـ٢ ص١٩٧.

(٣) ولز: معالم تاريخ الإنسانية (المجلد الثاني) ص٤٦٩.

الصفات الهلينية [١].

أما عن انتشار ديانة (إيزيس) [٢] وملحقاتها في روما «**فقد بدأ ذلك في غضون القرن الثاني قبل الميلاد -إن لم يكن قبل ذلك التاريخ- وقد تم ذلك على أيدي الإغريق الذين كانوا يفدون إلى روما من مصر مباشرة أو من المناطق المجاورة لإيطاليا كبلاد اليونان وجزر البحر الإيجي وصقلية**» [٣].

وعندما كثر اتباع هذه الديانة في بلاد الرومان ارتابت الحكومة الرومانية في نشاطهم لذلك نجد أن أحد القنصليين -في روما- في عام ١٦٨ ق.م يأمر بهدم هياكل إيزيس - وسرابيس القائمة بالمدينة الرومانية، غير أن الحكومة الرومانية تركت أشياع إيزيس يمارسون شعائر عبادتهم داخل أسوار روما» [٤].

وفي أيام سلا (٨٨ ق.م - ٧٦ ق.م) اشتد ساعد أنصار إيزيس فنظموا جمعيات دينية في هذا العصر، ولكن لم تلبث ديانة إيزيس أن تعرضت لأكثر من اضطهاد خلال فترة الاضطرابات الأهلية التي أعقبت وفاته (٧٨ ق.م) واستمرت حتى انفرد يوليوس قيصر بالسلطان في عام ٤٧ ق.م وازدهرت عبادة إيزيس نتيجة لتأثير (كليوباترة) على الدكتاتور الروماني، وأحرزت ديانة إيزيس نصرًا إذ اعترف بها رسميًا في عام ٤٣ ق.م من الحكومة الرومانية [٥].

وأقبل الناس في روما على العقيدة الجديدة في حماسة حتى ليبدو أنها استولت على طوائف بأكملها من الشعب وبدأت الحكومة ترى في عبادة الآلهة المصرية خطرًا عليها لذلك جعلت تدمر من وقت لآخر وباستمرار

---

(١) تاريخ مصر في عصر البطالمة جـ٢ ص١٨٧.

(٢) ولقد سميناها هنا ديانة إيزيس لأنها كانت تعرف في روما بهذا الاسم.

(٣) د/ عبد اللطيف أحمد علي: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ص١٤٨. دار النهضة العربية سنة ١٩٧٢م.

(٤) المرجع السابق ص١٤٩.

(٥) المرجع السابق ص١٤٩.

معابد إيزيس [١].

وظل الأمر على هذا الحال يأتي ملك فيعترف بها ثم يأتي آخر فيحرمها إلى أن تولى العرش كاليجولا (٣٧-٤١م) فشجع هذه الديانة وأعاد شرعيتها بل وأعاد بناء - معابدها [٢] ومنذ تلك الفترة احتفل بأعيادها وطقوسها بكل حرية دون أن يثير الاحتفال بها أية معارضة [٣].

وانتشرت عبادتها كالبرق في سرعة غريبة إلى جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية ثم تعدت حدود الإمبراطورية إلى أقاليم أكثر بعدًا شرقًا وغربًا في ركب تجارة الإسكندرية، وليس أدل على ذلك من بردية مشهورة بين علماء الآثار ترجع إلى القرن الثاني الميلادي تذكر الأماكن التي انتشرت فيها عبادة إيزيس في أرجاء المعمورة، هذه الأماكن تشمل معظم مدن مصر إذ إن هناك -كما يقول علماء الآثار والتاريخ- ذكرًا لسبع وستين مدينة في الدلتا فقط أما خارج مصر فتذكر أسماء خمس وخمسين مدينة مرتبة حسب البلاد التي تقع فيها [٤].

يقول د/ مصطفي العبادي: **«ومن دراسة هذه البردية تبين أن سلطان الإلهة إيزيس شمل الهند وبلاد العرب وفارس شرقًا، وسينوب على البحر الأسود شمالًا، وروما وإيطاليا»** [٥].

وهكذا يتبين لنا بكل جلاء ووضوح أن العبادات المصرية -وبخاصة ثالوث إيزيس- كانت منتشرة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية- تلك البيئة التي ظهرت فيها المسيحية وتكونت وانتشرت، ويتضح أيضًا: أن الديانات

(١) ديانة مصر القديمة ص٤٦٨.
(٢) مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ص١٥٠.
(٣) تاريخ الحضارات العام (المجلد الثاني: روما وإمبراطوريتها) ص١٤٤.
(٤) مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ص٢٧٤.
(٥) المرجع السابق: نفس الصفحة.

المصرية كانت منتشرة في البلاد اليونانية والرومانية تلك البلاد التي خرج إليها بولس وأتباعه للتبشير بمسيحيته، تلك الديانة التي تكونت في هذه البلاد بين اليونانيين والرومانيين، وكان تأثير هؤلاء على المسيحية واضحًا، فلقد تأثرت بعقائدهم التي يدينون بها والتي كان من أهمها الديانة المصرية القديمة.

* * *